

البدء بحمد الله والشهادتين

..... الحمد لله رب العالمين. يعرفون الحمد بأنه: ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله. ذكر محاسن المحمود يعني الذي أنت تحمده ولا بد أنك تحبه وتعظمه وتجله. وعرفه آخرون بأنه: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا على الحامد وغيره، والتعريفان متقاربان، وأما بعد ذلك ذكر الشهادة يقول: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. مالك يوم الدين. الشهادة مشتقة من المشاهدة والشاهد لا يخبر إلا بشيء رآه يعني: شاهده بعينه أو علمه قال تعالى: { وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا } ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وإن كنا ما رأينا الله تعالى، ولكن رأينا الأدلة والبراهين التي تدل على الوحدانية تدل على أن الله تعالى هو الواحد لا إله غيره. معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله هكذا، لا معبود بحق إلا الله يعني لا أحد يستحق أن يكون له شيء من الألوهية إلا الله. نفي الألوهية عن غير الله، الإله هو الذي تأله القلوب أي: تحبه وتعظمه. وحده لا شريك له وحده تأكيد للإثبات في قوله: إلا الله لا شريك له. تأكيد لنفي أي: في قول: لا إله، لا إله، نفي، إلا الله: إثبات، وصف الله بأنه مالك يوم الدين أي: هو الذي يملك يوم الدين يوم القيامة. لا أحد يكون له ملك كل يتخلى عن ملكه، أما في الدنيا فإن هناك من يدعى الملك هذا يملك دولة، وهذا يملك دولة وإن كان ملكهم غير ثابت، بل زائل ولكن في يوم القيامة ليس هناك ملك إلا ملك الله؛ ولهذا يقول لهم: { لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه: { لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } . شهادة أن محمدا عبده ورسوله هي أيضا شهادة عن مشاهدة، وإن كنا ما أدركناه، ولكن جاءتنا الأدلة التي تبين صدق ما جاء به، والتي تكون معجزات له تدل على أن الله أيدهم بها؛ ليعرف صدقه، نشهد بأنه عبد يعني أنه من جملة عباد الله، ولا يأنف عن أن يكون عبدا لله تعالى، وكذا الرسل قال تعالى: { لَنْ نَسْتَكْبِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ } يعني: لا يتأفف ولا يتكبر ولا يتعاطف عن العبودية لله تعالى، وكذا الأنبياء قال الله تعالى: { وَأَذْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ } { وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ } { وَأَذْكُرْ عَبْدَاتَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ } وقال تعالى: { فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا } يعني نوحا وذكر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف قال تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا } { شَيْخَانِ الَّذِي أَسْرَى يَعْبُدُوهُ } { الْحَقُّ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ } { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ } . والرسول هو الذي يحمل الرسالة كل من جاء برسالة من غيره يسمى رسولا، ورسول الله هم الذين فضلهم الله وأيدهم بالمعجزات وحملهم هذه الشريعة، فهي رسالة من الله حملوها وبلغوها إلى قومهم، رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم هي هذه الشريعة التي بلغها، ووصفه بقوله: رسوله المبين يعني أنه بين الرسالة وأنه جاء بما يؤيد رسالته، وبدل على أنه مرسل بآيات بينات المبين الأحكام شرائع الدين أنه بين أحكام الشرائع بيانا واضحا. وقوله: الفائز بمنتهى الإرادات من ربه يعني الذي فاز بنهاية ما أراه الله تعالى له من ربه يعني: منتهى ما أراد الله تعالى له يعني ما أيده الله تعالى به من المعجزات في الدنيا، وما يعطيه في الآخرة ما يبعثه به في الدار الآخرة. هذا قوله بمنتهى الإرادات، هناك كتاب اسمه "منتهى الإرادات" وهو كتاب الفتوح وهو في الفقه أيضا، ويظهر أن المؤلف اختصره وأخذ منه، وقد شرحه كثير المؤلف الذي هو الفتوح ولكن كان شرحه أقل من المتن، وذلك لأنه لما أراد أن يؤلفه جمع علماء بلده فكان لا يضع جملة حتى يصوغها له ويختارونها وتكون وافية كافية، ثم بعدما انتهى من المتن شرحه المؤلف. اعتمد في شرحه على كتب، ولكن صياغته ليست كصياغة المتن، ومع ذلك لا بأس به. وقد طبع الشرح وشرحه بعد ذلك الهوتي الذي هو صاحب الروض المرعب، فكان المؤلف عندما ذكره أراد بذلك الإشارة إلى أنه من جملة ما استفاد منه، ومن تمسك بشريعته صلى الله عليه وسلم يعني بسنته وما جاء به فإنه من الفائزين، والفوز هو الفلاح الفوز بكل ما يطلبه ويؤيده ويريده. بعد ذلك قال: صلى الله وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين، الصلاة من الله هي ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى ثناء الله عليه بين الملائكة، وذكره له، أكثر الفقهاء على أنها هي الرحمة، واستدل الفقهاء بأن قوله صلى الله عليه وسلم: قولوا اللهم صل على محمدٍ وآل محمدٍ كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم أن هذا مأخوذ من قول الله تعالى: { رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ } هذه هي الصلاة والبركة على آل إبراهيم صلاة الله وبركاته في هذه الآية رحمة الله هذه صلاته وبركاته هذه بركته عليكم أهل البيت؛ فلذلك قال: كما صليت وكما باركت، عرف بذلك أن قوله: كما صليت يعني بقولك: رحمة الله كما باركت يعني بقولك: وبركاته هذا مأخذ الفقهاء في أن الصلاة من الله هي الرحمة، والسلام هو تسليمه من الأوقات ومن الأعداء ومن المكائد والمصائب وتحوها. وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين يعني: والصلاة على جميع الأنبياء والمرسلين. هكذا مقدمة صحيح مسلم ذكر فيها صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فأفكر عليه بعض الشراح على صحيح مسلم وقال: لا حاجة إلى ذكر الأنبياء، المرسلون أنبياء ومرسلون، فيكون هذا تكرار جميع الأنبياء والمرسلين العطف لا حاجة إليه فإنه عطف خاص على عام، فلو قال: الأنبياء، لكفى، المرسلون أنبياء، وأجاب بعض الشراح كالنووي وقالوا: إن المرسلين أعم من الأنبياء، فإن المرسلين قد يكونون من الملائكة قال تعالى: { جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا } ولا يسمون أنبياء، النبي خاص بال بشر وهو الذي يوحي إليه يأتيه الوحي من الله، وإذا كلفه بالبيان فإنه رسول، إذا كلفه بالبيان وبالبلغ فيفرفون فيقولون: من أوحى إليه ولم يكلف بالتبليغ فإنه نبي فإن كلف فهو نبي رسول، وقد يكون هناك رسول من غير الأنبياء كالملائكة، والأل في قوله: وآل كل وصحبه يعني آل الأنبياء وأصحاب الأنبياء جميعا. واختلف في آل النبي صلى الله عليه وسلم. اختار بعضهم أن آله أتباعه على دينه. رجح ذلك الشوكاني في مقدمة النبيل وأنشد بيتين: آل النبي هم أتباع ملته من كان من عجم منهم ومن عرب لو لم يكن آله إلا قرابته صلى المصلي على الطاعني أبي لهب يرجح أن آله هم أتباعه، ويقول: إن الله ذكر آل فرعون { أَدْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ } يعني أتباعه ليس خاصا بأقاربه، من العلماء من يقول: إن آله هم أقاربه أهل بيته وزوجاته، وذلك لأنه جاء في رواية: { اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته } فدل على أن المراد أهل بيته، وأما الصحب فإنهم من صحبه يعني من آمن به في حياته ومات وهو مؤمن بعد أن اجتمع به. ثم قال: وبعد فهذا مختصر في الفقه المختصر ما قل لفظه وكثر معناه، وهو يفضل حيث أنه يؤدي المعنى، ومع ذلك لا يصعب حفظه دل على أنه اختصره لأجل أن يتيسر حفظه لمن أراد أن يحفظه. الفقه لغة: الفهم قال تعالى: { قَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } أي: لا يفهمون، جاء في الحديث: { من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين } . فهذا الفقه الحقيقي، الفقه هو الفهم، وعلماء هذه الأمة منهم من اشتغل بالحفظ، ومنهم من اشتغل بالفقه، ومنهم من جمع بينهما يجمع بينهما يحفظ ويفقه يعني يستنبط. قالوا مثلا: أن الشافعي وأبا حنيفة رحمهما الله شغلهما في الفقه والاستنباط، وملك والإمام أحمد جمع كل منهما بين الفقه وبين الحفظ حفظ وفقه، وهناك إسحاق بن راهويه وعلي بن الحنفية رحمهما الله شغلهما في الفقه والاستنباط، وملك والإمام أحمد جمع كل منهما بين الفقه وبين الحفظ حفظ وفقه، وبذلك أصبح مذهب أحمد معترفا به قد كاد أن يضمحل مذهب أحمد وذلك لأن أهل القرن الرابع صاروا يكفرون أو يضلون الإمام أحمد ويتحاشون من مذهبه؛ لأنهم يتهمونه بأنه مجسم، وأنه مشبه، فلما كان كذلك قل في القرن الرابع من يكون على معتقده، وصار الحنابلة يستخفون بأمرهم وأوذي بعضهم كالبرهاري صاحب الرسالة المطبوعة شرح السنة في العقيدة أوذي أدى كثيرا وهُدِد، ثم في آخر القرن الرابع وأول القرن الخامس كان القاضي أبو يعلى اعتنق مذهب أحمد وسبب ذلك أنه كان وهو صغير يعني: في السنة السابعة أو نحوها يقرأ القرآن عند أحد المدرسين من الحنابلة فكان يلقي الطلاب أبوابا من كتاب الخرقى صاحب المختصر مختصر الخرقى وهو أول من كتب في المذهب الحنبلي الذي شرحه الزركنشي أو شرحه أبو محمد المغني فأحب أبو يعلى هذه الأبواب وحفظها وقال: زدني أيها المعلم فلما انتهى ما يحفظه ذلك المعلم أبواب الطهارة وما يتعلق بها قال: الآن هذا ما أعرفه ولكن أحبك على ابن حامد فتتلمذ على ابن حامد وأخذ عنه المذهب الحنبلي وتوغل فيه وصار حافظا ذكيا قويا واشتهر. ثم في أثناء ذلك آخر القرن الرابع وأول القرن الخامس لم يجدوا قاضيا يقوم مقام القاضي الذي توفي اشتهر أبو يعلى فولوه القضاء لم يجدوا من يمثله ولكن لما أنه تولى القضاء اشتراط أن يظهر مذهبه الذي هو مذهب أحمد وأن يقرر هذا المذهب؛ لأن الذين قبله كانوا يستخفون لا يجرؤ أحدهم أن يقول: أنا حنبلي وذلك خوف عليهم من غيرهم الذين يضلونهم ويخطئونهم، فلما أظهر أبو يعلى هذا المذهب وصار يقرر عند ذلك اعترف به الخلفاء وأقره وقالوا: لا أحد يطعن على مذهب أحمد ولا يطعن على أبي يعلى وتتلمذ عليه علماء أجلة منهم ابن عقيل صاحب الفنون ومنهم أبو الخطاب صاحب الهداية، وغيرهم ممن تتلمذ عليه فاشتهر بعد ذلك هذا المذهب وصار له أتباع؛ ولو كانوا أقل من غيرهم ولم يزلوا كذلك إلى هذا اليوم. فالحاصل أن هذا هو مذهب الإمام أحمد رحمه الله. يقول المؤلف: بالغت في إيضاحه رجاء الغفران أي: في إيضاح مسائله وعباراته أنها عبارات واضحة، وبينت فيه الأحكام. يعني حكم كل مسألة تأتي أحسن بيان يعني أوضحه ولم أذكر فيه إلا ما جزم بصحته أهل التصحيح والعرفان كأنه اختار كل كلمة جزم بها من قبله. يعني: جزم بها مثلا أصحاب الكتب قبله شروحا أو مختصرات كالفتوح في المنتهى والجواوي في الإقناع وكذلك من قبلهم كابي محمد بن قدامة في كتبه وغيرهم ممن جاء بعدهم، وعليه الفتوى فيما بين أهل الترجيح والإقناع يعني: عليه فتوى أهل زمانه المتأخر يقول: سميت دليل الطالب لنيل المطالب. يعني: الدليل هو ما يستدل به، والمطالب هي الأغراض التي يقصدها طالب العلم، والله أسأل أن ينفع به من اشتغل به من المسلمين، ينفع به من اشتغل به حفظا، أو قراءة، وأن يرحمني والمسلمين إنه أرحم الراحمين.